الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
من خلال الدراسات الاكاديمية
رسالة الباحث حيدر نزار عطية إنموذجا

(عرض وتقديم)

الأستاذ الدكتور
علي ناصر حسين
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من خلال الدراسات الاكاديمية

رسالة الباحث حيدر نزار عطية إنموذجا (عرض وتقديم)

الأستاذ الدكتور
علي ناصر حسين
الجامعة المستنصرية / كلية التربية

المقدمة:

يعد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٧٦م - ١٩٥٤م) واحدا من اهم المراجع الدينية الذين برزوا على الساحتين الوطنية والقومية التي تناولتها رسالة الباحث حيدر نزار عطية المعنونة (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي) وقد تمكن الباحث من تناول جوانب مهمة من سيرة الشيخ كاشف الغطاء ، وتعد رسالته اول دراسة أكاديمية صدرت عام ٢٠٠٢م من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي العربي للدراسات العليا وقد اعتمد الباحث على وثائق ومصادر تاريخية مهمة ونادرة أحيانا ، وقد استثمرها بشكل علمي فقدم لنا بحثا تناول فيه كل ما يتعلق بشخصية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومن خلال قراءة الرسالة بصورة معمقة يمكن لنا إيجاز مضمون الرسالة بالمحاور التالية:

أولا: المولد والنشأة:

ولد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عام ١٨٧٦م في اسرة علمية ودينية وهي اسرة عربية رفيعة الشرف يتصل نسبها بمالك بن الحارث الاشتر من أصحاب الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وقد اكتسبت الاسرة لقب كاشف الغطاء نسبة الى كتاب الشيخ جعفر (١٧٣٦م- ١٨٠٨م) المعنون (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) وهو كتاب في الفقه والاحكام، ومما تجدر الاشارة اليه ان هذه الاسرة قدمت العديد من الفقهاء والمجتهدين، ولذلك فأن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قد درس على يد خيرة علماء عصره وعن بدايته يقول: (اني منذ عرفت ليلي ونهاري وميزت بين خشونة رأسي وأضفاري لم احب ولم اتعلق الا بمدارسة الكتب ومزاولة العلم والتعلم واللصوق بأهل الفضائل والمثول بين ايدي الاكابر والا ماثل اقتباسا من فوائدهم وتطفلا على موائدهم)، ولذلك فقد تميز كاشف الغطاء عن غيره من العلماء لتمتعه بثقافة متنوعة واطلاعات واسعة، ويبدو ذلك واضحا من خلال كتبه وما كُتب عنه، والتي أكدت على قدرته في التأثير بمجتمعه والاستحواذ على مشاعرهم لما امتلكه من قوة جذب وخطابية ولغة ساحرة تضيف حيوية وقدرة على التنوع في

المواضيع التي تناولها من سياسية واقتصادية واخلاقية فضلا عن نتاجه الفكري المتنوع وقد تميز بشمولية الطرح والمعرفة فذاع صيته في العالم وترجمت كتبه الى لغات عدة.

ثانيا: دوره في التطورات السياسية في العراق ١٩١٤م – ١٩٥٢م:

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى في صيف عام ١٩١٤، اعلنت الدولة العثمانية الجهاد، بعد ان استغاثت برجال الدين في مدينة النجف الاشرف ويصف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الحرب بقوله (أعلنت الحرب الاولى، وقامت القيامة وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن هول الحرب شديد وتفاقم البلاء وسيق الرجال الى ميادين المنايا ولم يبق سوى النساء).

واستجابة لدعوة الجهاد توجهت قوافل المجاهدين باتجاه مدينة البصرة وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي ذهب موفدا عن السيد محمد كاظم الطباطبائي وقد غادر النجف في ٢٨تشرين الثاني ١٩١٤م، وقد ضمت قافلته ثلاثمائة مجاهد نقلتهم من شريعة الكوفة حوالي ٤٠ سفينة، ليشارك الشيخ كاشف الغطاء في معركة الروطة قرب القرنة التي حقق فيها المجاهدون نصرا كبيرا على القوات البريطانية .

وخلال احداث العشائر لعام ١٩٣٥م، والتي نجمت عن محاولة بعض السياسيين الاستعانة بالعشائر للوصول الى الحكم، فقد كان للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الدور البارز للوصول الى حلول توفيقية بين العشائر والحكومة وذلك من خلال اجتماع دعا له حضره زعماء العشائر في ١١ كانون الثاني ١٩٣٥م، وبخاصة أن الشيخ قد حصل على تفويض كامل من رؤساء العشائر لمطالبة الحكومة بالاستجابة لمطالبهم .

ومن جهة أخرى فقد واصل الشيخ كاشف الغطاء مساهمته الفعالة في التطورات السياسية التي حصلت في العراق خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) والتي حاول فيها الشعب العراقي تقليم أظافر (الاسد البريطاني) من خلال حركة مايس التي عرفت بحركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، إذ دعا الشيخ المسلمين جميعا للمشاركة في نصرة الشعب العراقي الذي يدافع عن سلامة بلاده وكرامتها واوجب نصرة الحركة بالمال والنفس لان القضية عادلة وتستهدف تخليص البلاد من الاجانب ولذلك استجاب عدد كبير من ابناء الشعب العراقي وقاتلو العدو في مناطق مختلفة، وقد وجه قائد الحركة رشيد عالي الكيلاني كتابا ثمن فيه الموقف الوطني للشيخ كاشف الغطاء .

واستمرارا في مواقفه الوطنية، فقد كان الشيخ كاشف الغطاء على صلة بالتطورات السياسية التي اعقبت معاهدة عام ١٩٤٨م (معاهدة بورتسموث) التي

حاولت حكومة صالح جبر عقدها مع الحكومة البريطانية والتي رفضها الشعب العراقي، وادى ذلك الى استقالة وزارة صالح جبر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨م، وقد اذاع الشيخ كاشف الغطاء بيانا الى الناس اذاعه بنفسه دعا فيه الى الهدوء، واعلن فيه سقوط وزارة صالح جبر وسقوط المعاهدة وتشكيل وزارة جديدة برئاسة السيد محمد الصدر، فكان ان عم الفرح بين الناس .

وفي عام ١٩٥٢م، وحينما حصل اضراب طلاب كلية الصيدلة ببغداد في ٢ تشرين الثاني، وقد تطور هذا الاضراب الى مظاهرات صاخبة وتصادمات مع قوات الشرطة، وتوقف الدراسة، فلم يقف الشيخ كاشف الغطاء متفرجا امام هذه الاحداث، واصدر فتوى بحرمة محاربة الجيش، وقد اخذت هذه الفتوى وصعد بها المنادي الى اعلى المأذنة في الصحن الحيدري الشريف الذي كان يغص بالالاف من الناس، وبذلك عاد الناس الى مزاولة أعمالهم ومنع الشيخ كاشف الغطاء صِداما كاد أن يقع بين الجيش والاهالي، خاصة بعد ان امتدت المظاهرات الى العديد من المدن الاخرى.

ثالثا: نشاطاته السياسية:

ساهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كثير من الاعمال السياسية وتفاعل معها لانه كان يرى ان تاريخ اسرته والادوار التي لعبتها في كثير من الامور السياسية والدينية وتزعمها لفترة طويلة المرجعية الدينية يعطيه الحق في الاشتغال بالاعمال السياسية، ويعتبرها بمثابة الواجب المسؤول عنه امام الله والوجدان .

ولكن من جانب اخر كان يرفض المشاركة في العمل السياسي الذي يكون هدفه احداث الفتن والاضطرابات من اجل الوصول الى السلطة والتلذذ بنعومتها ورخائها، ومن ثم معاملة الناس بالتكبر السلطوي، واستغلال المنصب للحصول على المنافع الذاتية وقد قال في ذلك ما نصه:

(اذا كانت السياسة هذا وما اليه، فاني اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم).

وكان الشيخ كاشف الغطاء يعتبر ان ما يجري بين الدول من العلاقات السياسية هو بعيد عن الاخلاق لان السياسة تتخذ من الكذب والخداع وسيلة من وسائلها لاسباغ صفة الشرعية عليها، لذا كان يرفض بشكل قاطع العمل السياسي الذي يعتمد اللااخلاقية في الوصول لاغراضه ولذلك اكد على ضرورة ان يتصف من يشتغل بالعمل السياسي بالنزاهة وبروح الاخلاص بعيدا عن المطامع والاغراض الشخصية، ولذلك نراه يحدد أساليب العمل السياسي التي تستمد من تحقيق العدل والاصلاح الاجتماعي بالاساليب الاتية:

الاسلوب الاول:

وهو الاسلوب الذي يعتمد على الحوار والمكاشفة والارشاد بالخطب والمقالات والمؤلفات والصحف، وهذا الاسلوب يعتمد على الشريعة الاسلامية من خلال الاية الكريمة (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن).

الاسلوب الثاني:

وهو المقاومة السلمية والسلبية و تعتمد العصيان المدني طريقا لها، وعدم الاشتراك في الحكومة.

الاسلوب الثالث:

وهو الاسلوب الذي يعتمد الثورة المسلحة.

والحاكم من وجهة نظر الشيخ كاشف الغطاء لا يختلف عن أي فرد من افراد الشعب الا في مجال عمله (كحاكم) وهي مهنة لا تختلف عن بقية المهن، فليس له فضل او منة على الشعب، بل ان الحاكم يجب ان يعلم بأنه موجود بأرادة الشعب ورغبته، ولذلك يجب ان يكون تصرفه مع شعبه قائم على اساس العطف والشفقة والمحبة، وان يبتعد عن الرشوة والمحسوبية، وان لايحابي في اعطاء الوظائف بل يسلمها لمستحقيها من ذوي الكفاءة والخبرة.

نادى الشيخ كاشف الغطاء بنبذ الطائفية في العراق واكد على ضرورة مكافحتها ادراكا منه لخطورتها ولم يقتصر نشاطه هذا على العراق فحسب بل طالب بتطبيق ذلك في كل الدول العربية بل والعالمية، وقد تجسد ذلك في النداء الذي وجهه الى الحكومة والشعب البحريني، حينما دعاهم الى التوحد وعدم فسح المجال للمستعمرين، وقد وجه ندائه هذا وهو على فراش المرض في ٤ تموز ١٩٥٤م.

كما انتقد الشيخ كاشف الغطاء سياسة اللامبالاة التي تنتهجها الدول العربية ازاء ما يقوم به الصهاينة الذين لم يجدوا موقفا جديا من هذه الدول وقال عن العرب: (ولو فعلوا ذلك وابدوا لليهود ومن مكن اليهود من بلاد المسلمين ومن أرواحهم وأموالهم شيئا من الصلابة والتنمر لكان لهم العيار الثقيل عند الدول الغربية).

اما موقفه من الاستعمار فانه كان ينظر الى الدول الغربية باعتبارها قوى استعمارية هدفها السيطرة والتسلط على البلاد العربية والاسلامية ولذلك كان يدعوا الى يقظة الامة العربية لكي تتخلص من السيطرة الاجنبية وقد جسد ذلك في قصيدة قال فيها:

كم نكبـــة تحطم الاسلام فيها والعرب والانجليز اصلها فتّش تجدهم السبـب
بل كل ما في الارض من ويلات وحرب هم اشعلوا نيرانها وصيروا الناس حطب

كان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء يرى في الاحلاف العسكرية، ومنها حلف بغداد، ألاعيب كانت تهدف الى ضياع القضية الفلسطينة وتمزيق وحدة العرب، مؤكدا ان سياسة الحياد دعا اليها الاسلام مستندا على الاية القرانية الكريمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وكذلك الاية القرانية الكريمة: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾.

رابعا: نشاطاته الاقتصادية:

اولى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الاقتصاد اهتماما خاصا الى درجة انه ربط بين الاستقلال الاقتصادي والاستقلال السياسي، لانه كان يرى بأن الاستقلال السياسي لا يكون متكاملا إلا بالاستقلال الاقتصادي، لان الاعتماد على الاخرين لا يعني بأي شكل من الاشكال الاستقلال، لان ذلك يؤدي الى نوع من انواع التبعية وقد قال في هذا المجال (احتج الى من شئت تكن اسيره).

ومع ادراكه للتضحيات التي يحتاجها البناء الاقتصادي المتين، فضلا عن الصبر والجلد ورجال مخلصين ومثابرين وتضحيات جسيمة، حتى اذا وصل الحال الى نسج الثياب من خوص النخيل، لذلك كان يؤكد على ضرورة الاستغناء عن الصناعة الاجنبية فيقول : (اننا اذا أردنا ان نعيش امة حية قوية مثرية يلزمنا ان نلبس من غزل ايدينا ونأكل من نتاج أرضنا ونستغني عن مصنوعات غيرنا قدر الامكان).

وكان الشيخ يرى ان العراق هو البلد الاغنى في كل شيء، ولكن الاستعمار كان يعمل على اعاقة المشاريع الزراعية الصناعية التي تساعد في تحقيق الاستقال الاقتصادي، ومع ذلك فانه دعا الى الاقتصاد والتدبير وعد الاسراف والبذخ من عوامل الانتقام الالهي استنادا الى قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.

كما اعطى الشيخ اهمية خاصة للثروة لما لها من مكانة بأعتبارها العصب الذي يحرك الحياة وكوسيلة لتحرير الامة من الحكم الاجنبي .

خامسا: دعوته الى النهضة الحديثة:

اهتم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بدراسة تاريخ العرب دراسة عصرية محاولة منه لبعث القيم والرموز العربية الاسلامية واحياء للتراث العربي، وقد اكد الشيخ بأن العربي اذا اراد ان يكون اصيلا في عروبته وانه سليل اولئك (الاماجد) فعليه الاخذ بمزاياهم والتخلق بسجاياهم وحينها يكون وارثا شرعيا لهم، ولكي يؤكد لابناء جيله سبب تردي احوالهم قال الشيخ متسائلا:

(اتدري ايها العربي لماذا ارتقى اولئك وسقط هؤلاء، اتدري مالسبب الذي صعد به اباؤنا ونحن هبطنا؟ ان العرب الاوائل ارتقوا بروح الاسلام وتعاليمه فقد انصهر اولئك الرجال في بوتقة التصفية والتهذيب حتى صارت اجسادهم ارماحا فابتعدوا عن الصغائر والتوافه فارتقوا ونهضوا شهامة ونبلا وفضلا وعقلا، اما هبوط الاخرين لأنهم صيروا ارواحهم اجساما فهبطوا لتمسكهم بالشهوات والصغائر وتمخضوا جهلا وذلا).

وضع الشيخ كاشف الغطاء اسسا يؤدي الاعتماد عليها الى نهضة عربية، اهم هذه الاسس هو قراءة التاريخ العربي الاسلامي والشريعة السلامية، لتكون دليلا للعربي للسير بموجبها والابتعاد عن الكذب الذي اصبح معروفا في السياسة عند الامم المتمدنة فالعرب الاوائل لم يعرفوا الخيانة او الغدر .

كما وجه الشيخ نقدا واتهاما الى مناهج التعليم في البلاد العربية التي قال انها وضعت من قبل الدول الاستعمارية، وطلب من الشباب العربي عدم الاعتماد على المناهج المدرسية فقط، بل الاعتماد على النفس في البحث والتعلم.

وقد اوصى الشيخ كل عربي بمقاومة الاعوجاج الحاصل في مجتمعه ومكافحة الظلم، منطلقا من القاعدة الاسلامية، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن اجل تطبيق كل هذه الاسس اوصى الشيخ كاشف الغطاء بضرورة الالتزام بالواجبات الدينية التي لم يتخل عنها العرب المسلمون الاوائل في احلك الظروف واصعبها .

وبعد هذا العرض السريع والموجز لرسالة الباحث حيدر نزار عطية حول شخصية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجهوده في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية لابد من القول ان الباحث قد استنتج حقائق مهمة في خاتمة البحث، ومن هذه الاستنتاجات ان الشيخ امتاز عن غيره من العلماء ورجال الدين بعلاقاته الواسعة والمتعددة وانه كان جريئا في مواقفه، ومثل امتدادا لدعاة النهضة الحديثة وامن بشكل تام بقدرة الشريعة الاسلامية على تحقيق التطور والرقي وجسد اقواله بالافعال، ونبه منذ وقت مبكر الى الاخطار التي تحيط بالامة العربية، وبخاصة فلسطين، لذلك اكد على مسألة الوحدة الوطنية باعتبارها عامل قوة وسبيل الى وحدة اكبر، واعتبر ان مصدر قوة الامة هو العودة الى الاسلام الصحيح الخالي من الشوائب